المنطقة، ضد النفوذ البريطاني. وقد أسهم مجمل ما تقدم، بدفع بريطانيا لـ «فرملة» اندفاعها باتجاه دعم الحركة الصهيونية، ولكسب العرب إلى جانب الحلفاء ضد المانيا في الحرب، فقامت بإصدار ما عرف بالكتاب الابيض، في العام ١٩٣٩، خطوة تكتيكية، هدفت إلى امتصاص النقمة الجماهيرية العربية.

وعلى الرغم من الاشارة الى صدور الكتاب الابيض، كمنعطف في العلاقات البريطانية الصهيونية[١]، فإن اصداره لم يغير جوهرياً في السياسة البريطانية ازاء العرب. وفيما لقي الكتاب الابيض صدى ايجابيا لدى العرب، إذ ظنوه مؤشراً على تفهم بريطاني لقضاياهم، فانه بالنسبة لبريطانيا لم يعدُ كونه محاولة تكتيكية لايجاد شيء من التوازن في سياستها، حيال كل من العرب والصهيونيين. وبهذا، لم تضع بريطانيا أولوية في سياستها، ازاء الطرفين، للمصالح القومية العربية، وانما سعت لاسترضاء العرب الذين رأت في تجاهل مشاعرهم تهديداً لمصالحها الحيوية في المنطقة. وكان صعود الولايات المتحدة الاميركية لسيادة المعسكر الامبريالي بعد الحرب، قد فرض على بريطانيا البدء بالبعد العكسي، أمام تنامي دائرة النفوذ الاميركي الصاعد في العالم. إذ ذاك، أخذت بريطانيا تسعى للحفاظ على ما تبقى لها من مواقع تعتبرها أكثر حيوية بالنسبة لمصالحها، كمصر مثلاً، حيث خضع مصير فلسطين في مقابلها لصيغة توفيقية من اقتسام النفوذ بين الامبرياليتين البريطانية والاميركية في ما بعد[٢]. وباتجاه تعزيز وضعها في مواجهة المنافسة الاميركية، يدرك المرء لماذا سعت بريطانيا إلى كسب عطف العرب إلى جانبها.

غير أن المأزق البريطاني تعمق أكثر، مع استحالة التوفيق عملياً بين مطالب العرب وأطماع الصهيونيين؛ فالحركة الصهيونية هاجمت الكتاب الابيض ورأت فيه تقييداً لحركتها نحو تحقيق برنامجها، الساعي إلى إقامة الدولة اليهودية. لذا، سعى الصهيونيون للبحث عن حليف دولي بديل يستندون إليه في مواجهة القيود البريطانية المستجدة. وعملوا على إعادة توجيه حركتهم طبقاً للاتجاه الجديد للاحداث[٣]. ولتحقيق ذلك، توجهت الحركة الصهيونية، بكل ثقلها السياسي والمالي في الحياة السياسية الاميركية، إلى كسب الموقف الاميركي لصالح أطماعها في فلسطين. وقد وجد التوجه الصهيوني تجاوباً لدى الولايات المتحدة الاميركية، التي كانت، منذ عشرينات هذا القرن، تسعى لإيجاد موطىء قدم لها في فلسطين[٤]. أما بالنسبة للولايات المتحدة الاميركية، فقد رأت في مشروع الدولة اليهودية ركيزة استراتيجية راسخة لسياستها في الشرق الأوسط؛ ذلك لأن وجود دولة كهذه في ظروف استثنائية دائمة يحتم عليها الاعتماد الكامل على الدعم الخارجي. وفي سياق هذا التصور، فإن أي حليف عربي، سيكون بالنسبة للولايات المتحدة، مجرد نظام حليف قد تعزله حركة شعبية في لحظة تاريخية معينة. بينما يكون وجود دولة يهودية مرتهنة للدعم الأميركي، بمثابة ركيزة ثابتة لا تخضع لمتغيرات وتفاعلات النهوض القومي الذي تعيشه المنطقة العربية منذ أوائل هذا القرن. وبهذا تكون المراهنة الاستراتيجية على الدولة اليهودية، أقوى من المراهنة على أي نظام عربي صنيع أو تابع. في إطار ما تقدم، يمكن اعتبار انتقال الحركة الصهيونية إلى الارتباط مع الولايات المتحدة الاميركية، بمثابة بوابة القضية الفلسطينية نحو التدويل.